

التجارة العربية الصينية في العصور الوسطى أ.د عبد الرازق أحمد وادى السامرائى

نظرة في العلاقات العربية-الصينية

تعود العلاقات العربية الصينية الى تاريخ قديم نجمل تحديده بالضبط. ولعله يعود الى فترة ما قبل الميلاد. فقد سجلت الكتب الصينية الملكية عن الاتصالات الصينية العربية القديمة في التاريخ. منها؛ رحلات استكشافية قام بها كبار الشخصيات. فيما ارسلتالى البلاد العربية بعثات اخرى وصلت الى العراق والشام والروم. مثل رحلة تشانغ تشيان ت ١١٤ ق.م) أرسله الامبراطور (هام وودي) وصل الى غرب اسيا (١). كانت هذه الرحلات فاتحة الطريق التجاري بين الصين وغرب اسيا واوروبا. (٢) وهكذا استقبلت الموانئ العربية السفن الصينية المتجرة من الصين على وجه الخصوص ومن جنوب شرق اسيا عموما - على طــــول الساحل العربي في مياه الخليج، وبحر العرب، والمحيط الهندي، والبحر الاحمر. ان الموانئ العربية المستقبلية والمودعة للسفن المتجرة مع الصين كثيرة منها؛ موانئ العراق مثل؛ الحيرة، والابلة، والبصرة، وبغداد.

ان أول اتصال صيني-عربي- خلال العصور الاسلامية يعود الى عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض) عام (٣١هـ/٦٥١م)، حينما قدمت بعثات الى هناك (٣). وهذا هو تاريخ دخول الاسلام الى الصين في نظر الصينيين. ثم توالى البعثات حتى بلغت ٣٩ بعثة حتى سنة ٧٩٨م على حسب السجلات الرسمية (٤). فكان اكبر تجمعهم في مدن؛ كانتون، وتسون-تشو، ويانج تشو (٥).

فيذكر (المسعودي)؛ ان السفن الصينية لم تصل الى الابلة فقط، بل وصلت الى الحيرة فيقول ((كانت سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة)) (٦). وربما كانت هذه سفنا عربية وليست صينية، كون أن أهل الصين حتى اخر القرن الثاني عشر لا يعرفون عدن أو سيراف (٧). وعن الابلة فالها تمتعت بموقع تجاري مرموق منذ القدم. ويقول الرواة انه عندما سقطت الابلة في يد العرب على عهد عمر (رض)، وجدوا بها سفنا صينية (٨). وهكذا استمرت في العصور الاسلامية وحتى فترة متأخرة منه. فينقل " (المسعودي) عن تاجر من الابلة؛ ان سعر البضاعات وصل احيانا الى مئات الدنانير الذهبية (٩) من هنا هنا يقول (ابن بطوطة) ((وما من مركب يأتي من الصين أو الهند الا وفيها آلاف من الدنانير)) (١٠).

اما موانئ الخليج فمنها؛ سيراف، وعمان، وصحار، ودارين، والبحرين.

(١) الاستاذ فاز، موجز تاريخ الصين، دار نشر الشعب، بكين، ١٩٦٥، ص ٤٠.

(٢) www.darah.sa

(٣) د. عفاف مسعد العبد، دراسات في تاريخ الشرق الاقصى، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية-مصر، ص ٢٨.

(٤) شوقي عبدالقوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، عالم المعرفة، ١٩٩٠، الكويت، ص ٢٠٠.

(٥) ابن خرداذبة (عبيد الله بن عبيد الله توفي حوالي ٣٠٠هـ/٩١٣م) المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩م، ص ٦٦. المسعودي (علي بن

الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عي الدين عبد الحميد، مطبعة

السعادة، مصر، ١٩٤٨م، ج ١، ص ٣٤٧-٣٤٩. اسراء محمد عبدالقادر الكمال، رحلات أمير بحر العرب الى جزر الشرق والصين، دار الشؤون

الثقافية العامة، ط ١، بغداد، ٢٠٠١م، ص ١٦٠.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ١١٣/١.

(٧) متز، ادم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر، ط ٢، بيروت، ١٩٤٧/٣٧٥.

(٨) نوفس، يوليا اغناطيوس، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة

والنشر، القاهرة، ١٩٦٣/٤٠.

(٩) المسعودي، مروج، ١١٦/١.

(١٠) ابن بطوطة، (محمد بن عبد الله بن ابراهيم اللواتي الطنجي ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة الانظار في غرائب

الامصار وعجائب الاسفار، المطبعة الازهرية، مصر، ١٩٢٨/١٠١.

والى جنوب الجزيرة العربية كانت موانئ عدن، وزبيد باليمن، والفرما بمصر، وينبع.
 ووصلت السفن التجارية الصينية الى موانئ البحر المتوسط عند (الجابية) بسوريا، لتنقل بصورة معكوسة برا الى نهر
 الفرات ثم بغداد والى نهر دجلة حتى الابله ثم الخليج (١). كما وصلت التجارة الصينية الى مكة لتباع في بلاد الروم (٢).
 وأبعد من ذلك، وصلت السفن الصينية الى السواحل الغربية للشمال الافريقي.
 وفيما يخص العراق، فقد ارتبط بعلاقات متينة مع الصين. فبغداد- قبل بنائها عاصمة للعباسيين- كانت سوقا يقصدها تجار
 اهل الصين بتجارهم فيربحون الربح الواسع. وفي هذه المناسبة يقول ياقوت الحموي ((وكان اسم ملك الصين (بنغ) فكانوا ذا
 انصرفوا الى بلدهم قالوا: بنغ داد، أي ان هذا الربح الذي ربحناه من عطية الملك)) (٣).
 لقد شهدت العلاقات العربية الصينية تطورا ملحوظا بعد بناء بغداد، خصوصا وانها بنيت على شبكة طرق استراتيجية
 برا وبحرا. وكان الخليفة ابو جعفر المنصور ينظر الى هذه المسألة بعين الخبير الاقتصادي، فيقول ((هذه دجلة ليس بيننا وبين
 الصين شيء، يأتيها منها كل ما في البحر)) (٤). ومن الجدير بالذكر ان المنصور استمع قبل الشروع بتأسيس المدينة الى اراء
 اراء ذوي الخبرة والاختصاص، فأشاروا عليه بقولهم ((وتجئك الميرة من الصين والهند...)) (٥). فأتوا عليه بحسن اختيار
 اختيار المكان وانما ستكون محطة استقبال لبضائع الشرق الاقصى. وبالفعل أصبحت التجارة الصينية رائجة ببغداد. يصف
 (اليقوي) المكان الذي كانت فيه البضائع الصينية ((وطريق في السوق التي يقال لها سوق خضير، وهي معدن طرائف
 الصين)) (٦).

الدعم الحكومي الصيني والعربي للتجارة المتبادلة:

لقد شجعت الحكومات المتعاقبة سواء في الطرف الاسلامي أو الصيني، التجار وقدمت لهم تسهيلات طيبة في هذا
 الشأن.

ومن الجدير بالذكر، انه كانت تحكم الصين في الفترة الاموية اسرة (تانج ٦١٨-٩٠٧م) (٧) (١٧) نعمت الصين
 خلالها بأمن وسلام، انعكست على العلاقات التجارية بين الصين والبلاد الاسلامية.

وبناء على ما ذكر، فقد شهد عهد الخليفة معاوية وصول بعثات عربية الى هناك (٨). وفي ايام مروان بن الحكم
 ارسلت بعثة اخرى (٩). كما شهد عهد الوليد احتكاكا مباشرا بين الطرفين حين وقفت طلائع جيش المسلمين على
 ابواب الصين عند مدينة (كاشغر) على حدود الصين الغربية، تحت قيادات الاميرين قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن
 القاسم الثقفي (١٠).

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٦م، ١١٦/٧.

(٢) ن.م.

(٣) ياقوت الحموي، (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م، ٣٣١/١.

(٤) الطبري، (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٦٠-
 ١٩٦٩م، ٢٧٢/٣.

(٥) ابن الاثير، عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار صادر-دار بيروت، ١٩٦٥-١٢، ٣٧/١٩٦٦.

(٦) اليقوي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٧م، ٩/١.

(٧) الحيرى، رمزية عبد الوهاب، تجارة الخليج العربي وأثرها في الحياة الاقتصادية

في منطقة الخليج العربي منذ صدر الاسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، طبع دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٧، ص ٧٠.

(٨) فيصل السامر، السفارات العربية الى الصين في العصور الوسطى الاسلامية، مجلة الجامعة المستنصرية، العدد ١٩٧٩، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٩) ن.م.

(١٠) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان، اعتناء رضوان محمد رضوان، المطبعة المصرية، الأزهر، ١٩٣٢، ص ٥٨.

ومن جانب آخر أصبحت الاراضي الصينية (كونها بعيدة) ملجأ للفارين والمعارضين للخلافة الاموية أو العباسية. فيشار الى وصول بعض أبناء العلويين الى هناك، فتعلموا اللغة الصينية، وأصبحوا وكلاء تجارين للعرب والصينيين على حد سواء. مما ساعدوا على انسياب التجارة بشكل جيد(١).

وهكذا وجدت جاليات عربية تجارية في مدن؛ الزيتون، وهانج شو، وكلابار، وشمال سومطرة، وجزر النيكوبار(٢). وفي العصر العباسي قامت الخلافة ببغداد بدعم النشاط التجاري خاصة بعد بناء بغداد. فوصلوا برحلاتهم الى الصين. فيما دعا الصينيون الخليفة العباسي الاول بـ(أبي لو). في الوقت ذاته ميز الصينيون، الامويين عن العباسيين فأطلقوا على الامويين بـ(ذوي الملابس البيضاء)، في حين سمو العباسيين بـ (ذوي الملابس السوداء) (٣) ان هذه التسمية ليست ليست بعيدة عن واقع الحال. فراية وشعار العباسيين هو اللون الاسود.

وواصل العباسيون سفاراتهم وهداياهم الى الحكومات الصينية المتعاقبة طيلة عهود الخلفاء الاول. ففي عهد الخليفة المنصور وصلت ثلاث سفارات ومعها هدايا(٣٠ جواد عربي) الى اميراطور الصين(٤). وظلت مستمرة طيلة عهود المنصور المنصور والمهدي والرشيد. وقدم العباسيون، كما ذكر أحد المؤرخين المحدثين، معونة عسكرية لاسرة (تانج) لتثبيت حكمهم أثر المعارضة الصينية(٥). وأفاد المسعودي(ت ٣٦٤هـ) ان التجار العرب في العصر العباسي قد جاوزوا جزيرة سيلان، وجابوا البحار الواقعة على سواحل الهند، وأخذوا يقومون برحلات طويلة حتى وصلوا الى الصين(٦).

ومن جانب الحكومة الصينية، فانها قدمت تسهيلات للتجار العرب. فعاملتهم معاملة طيبة وعينت لهم حكاما مسلمين لحل مشاكلهم وفق القانون الاسلامي (الشريعة الاسلامية)، كما سمحت لهم بأقامة شعائرهم الاسلامية(٧). فذكرت المصادر عن اقامة الصلوات، وخطب الجمعة، والسماح للخطيب المسلم بالدعاء لخليفة المسلمين على المنبر(٨) وفي سياق اخر، انشأت الحكومة دواوين للتجارة البحرية في ثغري (هانج شو) و(منج شو) بناء على طلب التجار الاجانب لتوفير أسباب راحتهم(٩).

ونتيجة للرعاية والدعم الذي قدمته الحكومات الصينية من جانب، والخلافة الاسلامية من جانب اخر، ان ازدهرت وانتظمت الحركة التجارية بين الطرفين، وعلى وجه الخصوص منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. لذلك يقول أحد المؤرخين المحدثين؛ ان السلع الصينية الواردة الى بغداد كانت كبيرة، كون الطرق مأمونة نسبيا. وهذا لا يعني عدم تعرضها للقرصنة البحرية، مما يؤدي أحيانا الى ارتفاع أثمان السلع ببغداد(١٠) كما كان من الطبيعي ان تظهر اسماء في عالم التجارة. علما بأن هؤلاء كانوا دعاة في الوقت ذاته، نشروا الاسلام في كل مكان كانوا يحلون به.. فيشار في هذا الصدد الى ابراهيم بن اسحق الصبئي، وهو من الكوفة، كان يتجر الى الصين، فنسب اليها، وغيره ممن سيرد ذكرهم في ثنايا هذا البحث. الصادرات العربية الى الصين:

(١) الخيرو، ٧٠.

(٢) HASAN, CHAN JU-KUO, P.101

(٣) الصيني، بدر الدين، ((العلاقات بين العرب والصين))، ط١، مكتبة النهضة المصرية، ٣٨، ١٩٥٠.

(٤) السامر، ن. م. ٣٥٥. حني، فيليب، تاريخ العرب (المطول)، ترجمة ادور جرجي وجيراثيل جبور، دار الكشف، ط٢، بيروت، ٢٠٢١/٤٢١.

(٥) الصيني، ٣٨-٣٩.

(٦) مروج الذهب، ١٠٤/١، الخيرو، ١١٣.

(٧) المروزي، في الصين والترك والهند، نشره وترجمه وعلق عليه، ف. مينورسكي، لندن، ١٩٤٢، ص ٦٦.

(٨) السيراقي، أبو زيد الحسن (ت ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م) تحقيق سوفاجيه، ذيل رحلة سليمان التاجر، باريس، ١٩٣٨، ص ٧. السيراقي، سليمان

التاجر (ت ٢٣٧هـ/ ٨٥١م)، رحلة الى الصين والهند، سلسلة التواريخ، باريس، ص ١٤.

(٩) ٢٠-١٩chau ju-kua, pp.

(١٠) أسواق بغداد، ص ٢٠٨.

ومنها؛ العاج المستورد من افريقيا. والكهرب الفصوص الصقلي(المستورد من منطقة البلطيق) (١) والكندر، والورس، والعقيق اليمني، ودرف السلاحف(الحنثو)، وقرن الكركدن، والكافور، والياقوت(الهندي والسرنديني)، والتمور والمناديل والنبذ والرصاص العراقي، ودهن البنفسج، وماء الورد، والحناء، وثياب الكتان الرفيعة، ولؤلؤ الخليج(الجيد)، والاقمشة الخشنة(شائعة الاستعمال)(٢)

الصادرات الصينية الى البلاد العربية: اشتهرت الصين بتصديرها لمادة المسك، وهو أجود أنواع المسك العالمية يومئذ من حيث رائحته الفواحة(٣) على أن هنالك نوع منه مخصوص بمنطقة (قنبار) بالصين عرف تجاريا بالمسك القنباري(٤) وشبيهه القنباري(٤) وشبيهه بالشهرة مسك التبت، نسبة الى منطقة التبت(٥). ويضاف الى ما ذكر من الطيب مادة العود، والذي العود، والذي يستخدمه العرب في التزيين، وصناعة الادوية(٦). ان تلك الانواع العطرية كانت تصل الموانئ العربية في؛ عمان، والعراق، وفارس(٧). وغني عن البيان، فقد اشتهرت الصين ولازالت بصناعة الخزف والفخار. فكانت مدينة وميناء(الزيتون) الصيني تصدر الفخار الذي كانت تصنع منه الاواني، وكان يطلق عليه(العضائر) (٨) كما استوردت البلاد البلاد الاسلامية السجاد الصيني(٩). أما الحرير الطبيعي، فهو ليس أقل شهرة من المواد المصدرة السابقة الى البلاد العربية. علما بأنه كان يباع في كل أنحاء العالم(١٠) اذ كانوا يرسلونه مع قوافل الجمال على طريق الحرير القديم، الذي يمتد حتى بغداد(١١) من هنا سمي بطريق الحرير البري أو طريق العطور البري(١٢) وحقيقة الامر ان الطريق البحري كان أكثر ضمانا من الطريق البري، لتعرض سالكي الطريق الاخير للصوص وقطاع الطرق(١٣). فضلا عن طول الطريق، وخصوصا مع العراق، اذ كانت الرحلة طويلة، وكثيرا ما أغلقت الحكومة الصينية الطرق المؤدية الى الصين للحد من أي تغلغل أجنبي(١٤). ولذلك يقول المسعودي((ان بعض التجار يأتون من سمرقند الى البصرة، ثم يبحرون باتجاه الصين)) (١٥) ورأى (ابن بطوطة) (١٦) خلال رحلته الى خوارزم، ان تجارة من حرير وأمتعة وماسواها من بضائع الصين، وصلت الى بلدة (اطرار) وهي اخر أعمال جلال الدين سنجر بن خوارزم شاه ملك خوارزم وخراسان وماوراء النهر. ان قائمة الصادرات الصينية طويلة. فضلا عن الصادرات ذات الشهرة، والتي مر ذكرها، فهناك مواد تجارية لا تقل شأنًا عن سابقتها. ومنها؛ اللبود، والورق، والطواويس أنشواع الطيور، والبراذين وحيوانات اخرى، والمداد، والدارصيني(١٧). كما كانت تأتي من الصين عبر البحر؛ الفرند، والكبخاو، والسوج، والسمور،

(١) مروج الذهب، ٢٨٧/١.

(٢) ن.م.

(٣) المسالك والممالك لابن خردادبة، ٧٠.

(٤) البلدان لليعقوبي، ص ٣٦٥.

(٥) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، التبصر بالتجارة، نشره حسن حسني عبدالوهاب، دمشق، ١٩٣٢م، ص ١١٩/١٧.

(٦) ابن خردادبة، المسالك والممالك، ص ٧٠.

(٧) مروج الذهب، للمسعودي، ١١٩/١.

(٨) التبصر، للجاحظ، ٢٦.

(٩) www.darah.org.sa

(١٠) مروج الذهب، ١٠٤.

(١١) الكمال، اسراء محمد عبدالقادر، رحلات أمير بحر العرب الى جزر الشرق والصين، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١م، ص ١٦٠-١٦١.

(١٢) www.darah.org.sa

(١٣) الدوري، د. عبدالعزيز عبدالكريم الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨، ص ١٥٣.

(١٤) ن.م.

(١٥) مروج الذهب، ٣٤٧/١-٣٤٩.

(١٦) رحلة ابن بطوطة، ١٨١/١.

(١٧) التبصر بالتجارة، ٣٦. المسالك، لابن خردادبة، ص ٧٠.

والخولنجان، والكافور(١). وكذلك؛ الدارفل، والتارجيل، والقاقلة، والبسباسة، والاهليلج، والابنوس، والجوزبوا، والقرنفل، والكبابية، والثياب المتخذة من الحشيش، والثياب العظيمة المحملة، وأنياب الفيلة، والرصاص القلعي، والقنا، والخيزران(٢). ان البضائع المذكورة كانت تصل ميناء عدن، والبحرين، وميناء الفرما بمصر، والحاجية بالشام. الموانئ الصينية:

١- كانتون: أوردته المصادر بصيغ مختلفة، منها؛ خانقو أو خانفو. وهو الاسم العربي الذي اطلق في القرنين الثالث والرابع للهجرة على مدينة (كانتون) ميناء الصين الواقعة على مصب نهر (سيكاينغ) (٣) وهو مرفأ عظيم تقع على خور من البحر البحر الاعظم تدخل فيه المراكب(٤) وكان المركز الرئيسي للتجارة العربية مع الصين، فهي((مرفأ السفن ومجمع تجارات تجارات العرب وأهل الصين)). وتصلها سفن سيراف، وعمان، والبصرة، محملة بالتجارات والامتعة، وتفرغ حمولاتها هناك(٥) هناك(٥) .

وكانت فيه جالية اسلامية كبيرة منذ وقت مبكر من تاريخ الاسلام. وأصبحوا من الكثرة-ولسبب لانعرفه- فأحرقوا المدينة، ونهبوا ما فيها، وفروا بحرا(٦) .

٢- خانجو: تقع على خور من البحر، وتمثل كانتون من حيث السعة(٧). وفيها أنواع الحيوانات التي لم يألفها العرب، مثل؛ الفيلة، والكركدن، والزرافة(٨). فيما كانت تنتج أنواعا من الخشب، مثل؛ الساج، والصندل، والخيزران. فضلا عن الكافور، والتوابل(٩) .

٣- الزيتون: أو زاكون، وتقع شمال كانتون(١٠). وسماها ابن بطوطة الزيتون، وقال عن مينائها((مرساها من أعظم مراسي الدنيا أو هو أعظمها...))(١١) والاسم الاخير يتطابق مع مدينة(توان-تشاو-فو) أو(تيوشان-تشو-فو) حاليا، وتبعد مسيرة ٢٧ يوما شمال كانتون(١٢) .

تقع الزيتون على مصب نهر يانج-تسي أو كيانج، والذي وصف بشدة عمقه، صلاحيته للملاحة ولل سفن الضخمة، حيث تنشط فيه حركة السفن(١٣) وينقل احد الرحالة الاجانب مشاهداته عن تلك السفن الضخمة والمحملة بالبضائع الكبيرة، وفيها الفلفل المعد للتصدير الى العرب، كما أن فيها خلق من التجار(١٤).

٤- كلابار: ميناء على الساحل الغربي لشبه جزيرة (ملغا) أو (ملاكة) (١٥). وهو ميناء محصور بين كل من جزيرتي سومطرة وشبه جزيرتي الملايو(كلة عند المؤرخين العرب) تجتمع فيها كل التجارات الواردة من الصين ومايماورها، والمتجهة

(١) ن.م.

(٢) الادريسي، محمد الشريف(ت. ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مطبعة بريل، ليدن، ١٤/١.

(٣) الندوي، معين الدين، معجم الامكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر، دار المعارف، حيدرآباد الدكن، ١٩٣٤م، ١/٤٦٨.

(٤) مروج الذهب، ١٠٤/١.

(٥) ن.م.

(٦) ن.م.

(٧) المسالك، لابن خرداذبة، ص ٦٨.

(٨) ن.م.

(٩) ن.م.

(١٠) رحلة ابن بطوطة، ٦٣٤.

(١١) ن.م.

(١٢) السيد، د. احمد علي، مشاهدات أودوريك دويوردنوتون الفرنسيكاني في الصين(ت ٧٣١هـ/ ١٣٣١م)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠، ص ٢٢.

(١٣) ن.م.

(١٤) وود، فرنسيس، رحلة ماركو بولو، ترجمة فاضل جتكر، مراجعة زياد مني، قدس للنشر والتوزيع، دمشق-سورية، ص ٢٥٤.

(١٥) الدوري، ١٦٤.

الى الهند وما بعدها، والعكس ايضاً (١) وقد أخذ بالظهور بعد مجزرة كانتون، نتيجة حرب أهلية حدثت هناك عام ٢٦٥هـ - ٢٦٥هـ، وراح ضحيتها عدد كبير من تجار مسلمين ويهود ونصارى ومجوس (٢). موقعه متحكم في تجارة بحري الصين الجنوبي والشرقي، وكذلك بحر اليابان، وبحر جاوة، وبحر اندمان، وهو بذلك يماثل موقع عدن عند مدخل البحر الاحمر (٣).

الموانئ العربية والاسلامية:

١- عمان: وهي فرضة الصين، وبها مرفأ الصين (٤) وتكفي الاشارة الى أن الضريبة المستحقة على سلعة واحدة من التجار العمانيين بلغت مليون درهم ونيف، وأنه باع من المسك دفعة واحدة ما قيمته مائة ألف مثقال، وبردا بأربعين ألف دينار، وبضاعات أخرى بالآلاف الدنانير، وكان ذلك في بداية القرن الرابع الهجري (٥) ويشار ايضاً الى تاجر عماني جاء ببضاعة من الصين وهي المسك بقيمة مليون دينار وثياب وحرير، وجواهر، وأحجار (٦).

٢- صحار: ((خزانة الشرق ودهليز الصين ومغوة اليمن)) (٧). وبلغت اوج ازدهارها في القرن الرابع حتى القرن السابع الهجري (٨) ٣- زيد: ميناء باليمن، وكانت تصله هدايا صاحب الصين (٩)

٤- عدن: ايضاً ميناء يمني، وهو ساحل صنعاء، وبها مرفأ مراكب الصين (١٠) ومدينة عدن صغيرة اكتسبت شهرتها كونها مرسى البحرين، ومنها تسافر مراكب الهند والصين، واليهما يجلب متاع الصين (١١).

٥- سيراف: احتلت مكان البصرة نتيجة ثورة الزنج. فأصبحت تصلها السفن التجارية من الصين والهند واليمن ومسقط وأفريقيا (١٢). وقد بلغت سيراف مبلغاً من الغنى والثراء نتيجة النشاط التجاري، ثم اضمحلت في ٣٦٧هـ بسبب زلزال أصابها (١٣) ٦- الفرما: ميناء مصر على بحر القلزم (الاحمر). والذي كان يزود مناطق مكة والمدينة، وبقية مدن الساحل بالبضائع التجارية. وكانت توافيه المراكب وهي محملة بالعطور والجواهر والطرائف (١٤). ٧- ماسة: وهي من أعمال (أغمات) بالسودان الغربي (١٥). ((وماسة قرية على البحر، تحمل اليها التجارات، وفيها المسجد المعروف بمسجد (هلول)، وفيه الرباط على ساحل البحر، ويلقي البحر عند مسجد هلول المراكب الخيطية، التي تعمل بالابلّة، التي يركب فيها الى الصين)) (١٦).

أعلام من التجار العرب المسلمين

١- ابراهيم بن اسحق الصيني: تاجر من الكوفة، كان يتجر الى الصين فنسب اليها (١٧).

(١) شوقي، ٩٥.

(٢) الدوري، ن.م، ١٤٦.

(٣) شوقي، ن.م، ١٩٦.

(٤) مروج الذهب، ١٠٥. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت. ٩١٠هـ/ ١٢١٣م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، دار

القلم، لبنان، ١٩٧٥/٤١٣.

(٥) بزرگ، عجائب الهند، ١٠١-١٠٢.

(٦) ن.م.

(٧) صحار عبر التاريخ، حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الادبي في صحار، ط١، لسنة ٢٠٠٠م، ص ٩٥.

(٨) شوقي، ١٧٧.

(٩) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ٨٧/١.

(١٠) البلدان، لليعقوبي، ٢٥/١.

(١١) نزهة المشتاق، ١٤/١.

(١٢) شوقي، ١٦٩.

(١٣) ن.م.

(١٤) المسالك، لابن خرداذبة، ١٧/١.

(١٥) البلدان، لليعقوبي، ٥٠/١.

(١٦) ن.م.

(١٧) معجم البلدان، ٤٤٩/٧.

٢- علي بن منصور الكربلائي: ذكر ابن بطوطة أثناء رحلته الى الصين؛ أنه التقى تاجرا عراقيا مقيما بالصين، من أهل كربلاء اسمه علي بن منصور، وصفه بالشرف والكرم والضيافة، لما قدمه من حسن استقبال وضيافة (١).

ومن الجدير بالذكر، ان التاجر العراقي كان بمهمة تجارية في خوارزم، وقد رافق ابن بطوطة في رحلته الى الصين مع مجموعة عراقية من أقاربه قادمة من كربلاء. وعن سفر هؤلاء يوضح ابن بطوطة؛ ان التاجر الكربلائي عزم على مصاحبتي الى بلاد الهند (اكراما لابن بطوطة) غير ان ((جماعة من أهل بلده وصلوا الى خوارزم برسم السفر الى الصين، فأخذ في السفر معهم... وسافر معهم الى الصين)) (٢). ويواصل ابن بطوطة حديثه، بأن التاجر العراقي أقام في مدينة (المالط) وهي أول بلاد بلاد الصين، وأقام معه تجار من أهل بلده بعد ان وصلوا المدينة، ونزلوا معه في فندق واحد (٣). ومن اللافت للنظر، ان تجارا تجارا من دمشق كانوا هناك، بحيث استقرض منهم التاجر الكربلائي ستة الاف درهم (٤). وتذكر احدي الروايات؛ ان تاجرا عراقيا أقام مدة في سمرقند ثم سافر الى الصين للتجارة الا انه تعرض للمساومة في البورصة التجارية، وتقدم الى الملك بظلامته لانصافه، فأنصفه (٥).

٣- عبدالعزيز بن منصور الحلبي: ومن لقيه فهو منسوب الى مدينة حلب بالشام. ويبدو أنه من التجار الكبار. فقدم لنا صاحب كتاب (العقود اللؤلؤية) (٦) من خلال صفقة هذا التاجر، صورة عن طبيعة التجارة الصينية وأصنافها الواردة الى الى بلاد العرب. ويبدو أن هذا التاجر كان يمثل صورة التاجر (الثالي) للتاجر العربي المسلم في أخلاقه وفي صنوف بضاعته. فلما وصل الى مرفأ (عدن-ظفار) أكرمه السلطان بتوجيه موظفي الميناء لاحترامه واهله (٧). وكان معه من صنوف التجارة كميات كبيرة فضلا عن نوعيتها. فنذكر منها؛ كان معه من الحرير ثلاثمائة بمار، ومن المسك المفرغ في أواني الرصاص أربعمائة وخمسين رطلا، ومن الفخار جملة مستكثرة، ومن الاواني الششم المطعمة بالذهب من الصحن الكبار جملة جيدة، ومن الثياب المختلفة الالوان مثل ذلك. وكانت الضريبة على هذه البضاعة ماقيمته ثلاثمائة ألف درهم (٨). ولنا ان نتدبر في حجم وقيمة البضاعة من خلال مقدار البضاعة. فغادر التاجر الحلبي عدن وأخذ طريقه الى مصر حيث ميناء (صور) (٩).

٤- عبدالرحمن المغربي: من أهل المغرب، كان تاجرا كبيرا مقيما بالصين وبجزائرها مدة طويلة. وكان هذا الرجل يعرف بالصيني لكثرة اقامته هناك (١٠).

٥- السليط العامري: هو السليط بن سبيع من بني عامر. يروي عن نفسه ((كنت تاجرا وكان أكثر تجارتي في البحر فركبت من ذلك الى بلاد الصين)) (١١).

٦- ابو الحسن سعد الخير الاندلسي: بن محمد بن سهل بن سعد الانصاري الاندلسي. كان فقيها صالحا، وتاجرا كبيرا (ت ٥٤١ هـ). يقول ياقوت الحموي عنه ((كان يكتب لنفسه الصيني لانه كان قد سافر من المغرب الى الصين)) (١٢).

الهوامش والمصادر ملاحظة: استغينا عن افراد قائمة بالمصادر والمراجع، وذلك لورود تفاصيلها هنا، لذا اقتضى التنويه.

(١) رحلة ابن بطوطة، ٨٠/١.

(٢) م. د.

(٣) م. د.

(٤) م. د.

(٥) رحلات أمير بحر العرب، ١٧١-١٧٣.

(٦) العقود اللؤلؤية، ١٤٠/١.

(٧) م. د.

(٨) م. د.

(٩) م. د.

(١٠) خريدة العجائب، ٤٨/١.

(١١) تاريخ مدينة دمشق، ١٢/٣٨.

(١٢) معجم البلدان، ٣٣١/١.

